١ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

٨ أكتوبر ١٩٥١ :

إذا تلفتت مصر فى غدها إلى أيامها الخالدة فى تاريخها الحديث فسيكون يوم الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٥١ أعظمها شأنا وأسماها قدرا ، ذلك لأنه اليوم الذى حطمت فيه أغلالها واستردت حريتها واستقلالها وحققت وحدة واديها ، ووقفت مصر صفا واحدا فى وجه الغاصب الأجنبى ، وأعلنت إلغاء معاهدة التحالف والصداقة مع بريطانيا التى وقعتها ١٩٣٦ وكذلك ألغيت اتفاقيتا السودان الموقعتان سنة ١٨٩٩

ومما يدعو إلى الغبطة والرضا أن نذكر أن المصريين على اختلاف أحزابهم ونزعاتهم قد وقفوا جميعا صفا واحدا إزاء هذا الحادث التاريخى المجيد ، وأحب أن أسجل هنا أقوال أبناء مصر الذين شهدوا جلسة البرلمان فى مساء ذلك اليوم العظيم الذى ألقى فيه رفعة رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا بيانه التاريخى :

« من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها » مصطفى النحاس

« إن المعارضة تتقدم بالشكر للحكومة ممثلة فى شخص الوطنى العظيم مصطفى النحاس باشا إن مصر بجميع أحزابها ستكون وراءه فيما عقد العزم عليه ولا أحزاب بعد اليوم » حامد الملايلى بك (دستورى)

« إن أى مصرى لا يستطيع إلا أن يقف خلف الحكومة مناصرا هذه الخطة الوطنية السليمة فقد استجابت لما طلبه الرأى العام منذ زمن طويل . إن الخطوة التى خطاها رفعة رئيس الوزراء هى حد فاصل بين سياستين ، سياسة معاهدة الإنجليز ، وسياسة مكافحتهم » دكتور نور الدين طراف (وطنى)

وقال النائب الاشتراكى الأستاذ إبراهيم شكرى إنه يعلن باسم الحزب الاشتراكى أن حزبه يؤيد الحكومة تأييدا كاملا ، وطالب بوضع تشريعات أخرى تنص على اعتبار من يعاون الإنجليز خائنا لبلاده ، لأنهم أعداء مصر ، وقد كانوا دائما أعداءها

وقال النائب السعدى الأستاذ فوزى سيف « إن المعارضة مستعدة لبذل آخر نقطة من دماء رجالها لتحقيق ما قاله رفعة النحاس باشا »

وأخيرا وقف معالى المصرى العظيم الدكتور محمد صلاح الدين باشا وقال : « إن هذه الأيدى التى مدت لمعاونة الحكومة هى الدليل الحق على أن المصريين يعرفون كيف يوحدون صفوفهم ، وإذا وحدت الصفوف فى البرلمان توحدت صفوف الأمة كلها »

هذا ما كان من الأمر فى داخل مجلس النواب ، ولم تكن حماسة الشيوخ ولا ابتهاجهم بتحرير مصر أقل من حماسة النواب وابتهاجهم

أما فى خارج البرلمان فقد هرع المصريون إلى الميادين ليستمعوا إلى بيان رئيس الحكومة ، وقد هزهم البيان فمانق بعضهم بعضا والتهبت أيديهم بالتصفيق وانطلقت ألسنتهم تهتف بالحياة الحرة للدولة المصرية السودانية ، وللملكها المفدى فاروق ، وقامت المظاهرات فى مساء الاثنين وفى أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس ، وانهالت برقيات التهانى على رفعة رئيس الحكومة من جميع الطوائف والهيئات

ووقفت الدول العربية بجانب شقيقتها الكبرى وأعلنت تأييدها لها ومؤازرتها

أما الدول الغربية : إنجلترا وأمريكا وفرنسا فقد وقفت تعترض على القرار واستهجنت خطة مصر ، وهذا أمر طبيعى فإن الغاصب لن ينزل عما اغتصبه بمحض إرادته . إن الحقوق والحريات تؤخذ ولا تعطى ، ومصر قد قدرت كل شىء وأعدت عدتها للجهاد والنضال ، ولن تستطيع قوة أن تحول بينها وبين حريتها ووحدة واديها ، وهذه هى بداية الكفاح والجهاد

الليلة والبارحة :

هذا هو يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ ، وهذه هى مكانته فى تاريخ

مصر ، وإن مصر إذا تلفتت إلى ماضيها القريب تبحث عن خير أيامها الخالدة لوجدته ماثلا فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ فإن هذا اليوم كان بدء آ لثورتها الخالدة المعروفة بثورة سنة ١٩١٩

وجدير بنا نحن المصريين أن نهتم اهتماما كبيرا بدراسة هذه الثورة لأمور ثلاثة :

أولها : إن الواجب على كل أمة أن تعنى بتاريخها عناية كبرى إذا أرادت لنفسها بقاء ومجدا . وأعتقد أنه يجب علينا أن نعنى بدراسة تاريخنا المعاصر عناية خاصة لأنه من غير شك يؤثر فى حاضرها وفى مستقبلها ، والثورة المصرية سنة ١٩١٩ هى من غير شك أبرز حادث فى تاريخ مصر المعاصر

وثانيهما : إن كثيرين من أبناء مصر المعاصرين قد ولدوا إبان الثورة أو بعدها ولم يشهدوها ، ولهذا قصدت إلى أن أضع أمام أعينهم صورة رائعة لجهاد آبائهم فى سبيل تحرير بلادهم وصفحة بيضاء مطهرة من صحف مصر المعاصرة ، وإذا أردنا لمصر حياة حرة كريمة فعلينا أن نكون أمة مجاهدة وهذا هو جهاد الآباء ، فليحمل الأبناء اللواء فإن هذا هو الطريق الوحيد الذى تستطيع به مصر أن تتبوأ مكانها الوحيد اللائق بها بين الأمم

وثالثها : إننى معجب حقا لموقف مصر وبالمصريين فى تلك الفترة من التاريخ ، فقد وقفت مصر صفا واحدا وكتلة واحدة تطلب استقلالها ، وقد كان يتزعم تلك الحركة الوطنية المباركة رجال جدير بمصر أن تفخر بهم على مر الأيام وكر السنين وهم . سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت وحسين رشدى وغيرهم ، هؤلاء الرجال كتبوا بأعمالهم أسماءهم فى سجل الخلد :

وليس الخلد مرتبة تلق ... وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن منتهى هم كبار ... إذا ذهبت مصادرها بقينا
وآثار الرجال إذا تناهت ... إلى التاريخ خير الحاكمينا

١٣ نوفمبر ١٩١٨ :

فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ احتلت بريطانيا مصر ، ورغم أنها أعلنت منذ الساعة الأولى عزمها على الجلاء بمجرد استقرار الحالة فى مصر فإنها حتى هذه الساعة لم تف بوعد من وعودها بالجلاء التى بلغ عددها خمسة وستين وعدا

منذ ذلك التاريخ فقدت مصر استقلالها ، وعاثت بريطانيا فى واديها إثما وعدوانا وفسادا ، وقد قاومت مصر هذا العدوان الآثم ما استطاعت ولم تقبله يوما ، وكان الزعيم الأول الذى رفع راية الجهاد مصطفى كامل باشا ، وسقط مصطفى كامل شهيد الواجب فى فجر الشباب فحمل الراية بعده الوطنى الثبور محمد بك فريد

ولم تأل إنجلترا جهدا منذ الساعة الأولى فى تثبيت أقدام الاحتلال فاعتدت على سلطة خديو مصر الشاب الخديو عباس الثانى وأذلته أكثر من مرة ، وأذاقت المصريين ألوان الهوان والعذاب ، وما يوم دنشواى ببعيد عن الأذهان . ثم اضطهدت زعماء الجهاد الوطنيين الأحرار فتكلت بهم ونفى محمد فريد ومات شريدا طريدا بعيدا عن الوطن الذى أحب . مات يحتطب فى ألمانيا

وفى ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الأولى ، ولم يكن لمصر ناقة فيها ولا جمل ، فهى حرب قامت بين ألمانيا والنمسا وتركيا فى جانب ، وبين إنجلترا وفرنسا فى الجانب الآخر ، ولكن مصر ذاقت منها الكوارث والويلات ، وتتابعت عليها المحن والكوارث فأعلنت الأحكام العرفية والعسكرية ، وعزل الخديو عباس الثانى لميوله العدائية نحو بريطانيا ، وأعلنت الحماية البريطانية على مصر . لقد كانت مصر ترجو فكاكا من الاحتلال فجاءها ما هو أدهى وأمر إذ ابتليت بالحماية . ثم سيق أبناء مصر قسرا باسم التطوع إلى ميادين القتال فاستشهد منهم كثيرون ودون ذنب جنوه ودون أن تشترك بلادهم فى الحرب ، وأبيح للقوات البريطانية أن تباشر جميع حقوق الحرب فى أرض مصر وموانيها . وعم الغلاء وانتشر الوباء نظرا لقدوم الجند من مختلف بلاد الإمبراطورية البريطانية

وأكثر من هذا لجأت السلطة إلى الاستيلاء على الحبوب والأقوات من الأهالى بأثمان حددتها ولم تترك لهم ما يكفيهم من أقوات ، وزادت فجمعت الدواب ووضعت يدها قسرا على الممتلكات . وبلغ عدد المتطوعين من أبناء مصر ١٫٢٠٠٫٠٠٠ جندى وأرغمت مصر على أن تقدم ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه كهدية

وقد كانت مصر وكان رئيس وزرائها حسين رشدى باشا يتوق إلى أن تقف مصر على الحياد فى هذا النزال، ولكنه لم يكن حرا فى اختيار السياسة التى يتبعها فقد كانت الحراب البريطانية تهدده ، ولذلك اضطر إلى التسليم بما طلبته بريطانيا فى ٥ أغسطس ١٩١٤ .

وقد ارتاحت بريطانيا لموقف مصر هذا فإن مصر المادية خطر يهدد بريطانيا

وظلت الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ . اشتد الغلاء وصودرت الحريات وكمت الأفواه ومنع المصريون من إبداء رأيهم فى نوع حكومتهم . وقد كان أكبر أسباب استياء المصريين الحماية . لقد كانوا يعملون على التخلص من الاحتلال فإذا به ينقلب إلى حماية ، وانتظر المصريون بفارغ الصبر نهاية الحرب ليعرفوا مصيرهم ومصير بلادهم

وأخيرا فى ١٩١٨ آذنت شمس الحرب بالمغيب وأعلن الرئيس ولسن - وكان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية - مبادئه وأهمها أن « لكل قوم الحق فى تقرير مصيرهم » . استبشر المصريون خيرا واعتقدوا أنه عندما تضع الحرب أوزارها سيطبق عليهم هذا المبدأ لأن مصر قد وقفت بجانب الحلفاء وضحت معهم بالمال والأبناء وإذن فلم لا تتمتع بحريتها كاملة مادامت قد قامت بنصيبها من أعباء الحرب التى أعلن الحلفاء أنهم ما قاموا بها إلا نصرة للحرية وللديمقراطية وحماية للشعوب الصغيرة من الشعوب الكبيرة !!

وفى شهرى سبتمبر واكتوبر من ١٩١٨ بدأ كبار المصريين ومفكروهم يتشاورون فى موقف مصر وفى مصيرها ، وكان من السباقين إلى هذا الأمير هرطوسون وسعد زغلول باشا. وقد خاطب الأمير سعدا « لأنه رأى فيه جرأة وإقداما وقدرة على المناقشة والجدال »

وفى ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الهدنة وتخلص العالم من الكابوس الذى كان يجثم على صدره

وفى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ قرع سعد ورفيقاه عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى أبواب دار الحماية ، وقابلهم السير ريجنالد ونجت وتحدثوا إليه وسألوه عما تعتزمه بريطانيا إزاء مصر ، وذكروا له صراحة أنهم قد جاءوا يطلبون استقلال مصر

قال شعراوى باشا : نريد أن نكون أصدقاء بريطانيا صداقة الند للند لا صداقة الحر للعبد

فأجابه ونجت : إذن أنتم تطلبون الاستقلال !

فصاح به سعد : نعم ونحن له أهل

لم يعد المعتمد البريطانى زعماء مصر بشئ وإن أظهر عطفا على مطالبهم ووعدهم بمخاطبة حكومته . والمهم أن نذكر أن سعدا ورفاقه قد طلبوا الاستقلال التام

أخذ سعد بعد هذا يعمل على تنظيم « الوفد » وتم له ذلك ووضع القانون الأساسى للوفد وأهم ما جاء فيه :

١ : تألف وفد باسم « الوفد المصرى » من حضرات : سعد زغلول . عبد العزيز فهمى . على شعراوى محمد على بك . عبد اللطيف الكباتى بك . محمد محمود . اطفى السيد . إسماعيل صدقى . سينوت حنا . حمد الباسل . جورج خياط . محمود أبو النصر بك . مصطفى النحاس . حافظ عفيفى

٢ : مهمة هذا الوفد هى السعى بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا السعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما

٣ : الوفد يستمد قوته من رغبة أهالى مصر التى يعبرون عنها رأسا أو بواسطة مندوبيهم

٤ : لا يجوز للوفد أن يتصرف فى المهمة التى انتدب لها

وفى ١٣ يناير ١٩١٩ ألقى سعد خطبة فى دار حمد الباسل باشا زاد فيها مبادئه وضوحا فذكر أنه يطلب الاستقلال التام لمصر والسودان « لأن السودان ألزم لمصر من الإسكندرية »

السلام صلة أبو الفتوح عطيفى